مقدمة

إن من أفضل السبل لإبراز عظمة التشريع الإسلامى ومنهاجه الذى رسمه الله تعالى لعباده، أن نستعرض معتقدات وديانات المجتمعات الأخرى التى لا تدين بالإسلام الحنيف، وما استتبع ذلك من صور غريبة فى النظم الاجتماعية التى تحكم حياتهم، وتحدد طبيعة سلوكياتهم وتصرفاتهم فى إطار من العادات والتقاليد المتميزة. فمن أهم الخواص التى تمتاز بها المجتمعات الإنسانية أنها تختلف باختلاف الأمم والشعوب، ولكنها تتفق وتنتظم إذا تلاقت مع شرع الله الذى ارتضاه للناس ديناً، ودستوراً، ومنهاجاً.

ومن الغريب فى الأمر أن ما يكون خيراً فى مجتمع قد يكون شرا فى مجتمع آخر، وما تعده أُمَّة فضيلة قد تعده أُمَّة أخرى رذيلة، غير أن الأمر يختلف إذا سادت تعاليم الإسلام ومنهاجه فى تنظيم العلاقات بين الأفراد والجماعات، وتبيان الحلال من الحرام فى أمور الحياة المختلفة.

ومن ثم يقع على كاهل المتخصص فى دراسة الظواهر والنظم الاجتماعية ـ فيما يعرف بـ «علم الاجتماع» ـ أعباء لا يقع مثلها على كاهل غيره من الباحثين فى العلوم الأخرى، ذلك أن الباحث لا يقتصر فى بحثه على سرد تلك الظواهر والنظم الاجتماعية وعرض ما يعتريها من تغير أو تطور فحسب، بل هو يهدف ـ فى طيات الأمر وبصورة غير مباشرة ـ إلى الكشف عن الخلل والفوضى التى تكتنف نظم المجتمعات، وخصوصا فى العصور القديمة كالتى نحن بصددها فى هذا الكتاب.

وقد أبرزنا ـ كما سبق أن ذكرنا ـ أن غيبة التشريع الإسلامى هى المؤشر الحقيقى وراء غرائب المعتقدات والعادات، وما تتسم بها من بلاهة «وتخاريف» تدعو للسخرية والاستهزاء بها.

ومن ثم فقد حرصنا على استعراض نماذج من النظم العقائدية والاجتماعية وما استتبعها من عادات وتقاليد فى تلك العصور القديمة؛ ليتعايش معها القارئ، وليعرف مدى النعمة العظمى التى يَنْعَمُ بها فى ظلال دينه القويم فى كل ما استَنَّهُ من تشريعات، وما شيده من نُظُم وقواعد.

هذا، ويُعَدُّ هذا الكتاب حلقة من سلسلة تحمل عنوان «غرائب المعتقدات والعادات» والتى تتكون من خمسة أجزاء، على نحو يتيح للقارئ حرية الاختيار للجانب الذى يرتضيه من هذه السلسلة، بحيث لا يفرض عليه نوعية من الموضوعات ربما لا يجد ميلاً إليها، ولاسيما كان الاتجاه السابق إصدار هذه السلسلة فى كتاب واحد، غير أن الرأى قد استقر مع الناشر إلى إصداره فى حلقات للحد من ضخامة عدد الصفحات إذا صدرت فى كتاب واحد برغم الوحدة الموضوعية لسلسلة هذا الكتاب التى وجدنا صعوبة فى فصلها... أى فصل العقائد عن النظم والعادات؛ حيث إن العقيدة ـ كما هو معروف ـ لها تأثيرها على المرء ومجتمعه... نظمه وعاداته.

وبعد، فآمل أن أكون قد قدمت عملاً نافعاً يستمتع به القارئ، وحسبى ذلك هدفاً وسبيلاً.

محمد كامل عبد الصمد

دمياط فى ١٨ من صفر ١٤١٤هـ
الموافق السابع من أغسطس ١٩٩٣م.